



التقييت أمس برجل خرج من ريف اللاذقية قبل أيام، وهو أول من ألقاه من تلك المنطقة منذ الحملة الكبيرة التي شنّها المجاهدون على قراها النصيرية في رمضان، فاهتممت بسؤاله عن الحملة وأسباب فشلها، لأن العاقل يهتم بالعبر ويبحث عنها لكيلا يقع في الخطأ مرتين.

أخبرني بحملة أسباب باتت معلومة لكل الناس: نقص الذخيرة وقلة الرجال وضعف التنسيق بين الجماعات المقاتلة، والكثافة النيرانية الهائلة التي ردّ بها العدو، ولا سيما الطيران الحربي الذي فتك بالمجاهدين وأرغمهم على الإنسحاب من الموضع التي فتحوها بعد صمود بطيولي وحسائر جسيمة. كل ذلك معروف، ولكنه أخبرني بشيء جديد.

قال: إن الإنجازات العسكرية التي حققتها الحملة في الأيام الأولى كانت أكبر من توقعات وأمال المجاهدين بكثير، فقد حرّروا بضع عشرة قرية في أقل من يوم، واندفعوا يطوون الأرض باتجاه معقل العدو الأكبر، وصارت الكلمة الأكثر تداولاً على الشفاه هي: "القرداحة".

قال: هنا ظهر شيء جديد لم تألفه ولم تره في المنطقة التي قاتلنا وعشنا فيها خلال السنة الماضية وما قبلها. لقد صرّت ترى في عيون المجاهدين وتسمع في أصواتهم ما لم يكن فيها: "العجب". غرّهم ظفرهم الكبير فكبروا في عيون أنفسهم وظنوا أنهم صنعوا ما صنعوا بحولهم وقوتهم وحسن التخطيط والتدبير.

نسوا أنهم أدوات وأن الناصر على التحقيق هو الله، فأذاقهم الله ما أذاق أصحاب رسول الله عليه صلاة الله وسلامه يوم حُنين: {لَقَدْ نَصَرْتُكُمْ اللَّهَ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَيَوْمَ حُنِينَ إِذْ أَعْجَبْتُكُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً}.

في أمثال تلك اللحظات العصيبة يعود المؤمن إلى الله؛ يسأل: لماذا أصابتني الهزيمة بعد نصر؟ فيأتيه الجواب الحاسم: {أَوْلَمَا أَصَابْتُكُمْ مصيبة قد أصَبْتُمْ مثَلَّهَا قلْتُمْ أَنِّي هَذَا؟ قُلْ هُوَ مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ}. يأبى الله إلا أن يرددنا إليه.

لم تكن نتيجة الحملة نكمة، بل نعمة، لأن خسارة معية الله أعظم من خسارة عشر قرى، لأننا لو وكلنا الله إلى أنفسنا لما قطعنا في معركتنا العصيبة مع النظام ربع الشوط الذي قطعناه ولا صمدنا عشر الوقت الذي صمدناه.

لأفهم معية الله هنا بالمعنى الذي يفهمه دراويش الصوفية، بل إنني موقن بأن الثورة السورية التي وقف العالم كله مع عدوها المجرم الظالم (وقد صارت هذه حقيقة واضحة لكل ذي بصيرة عندما مضى زمن كانت فيه من الظنون) هذه الثورة ما كانت لتبقى إلى اليوم لو لا أن وقف معها من هو أقوى من العالم كله، الله رب العالمين.

اللهم كنْ معنا ولا تكُنْ إلينا إلى أنفسنا، فإنّا ضعفة قلة عالة، لا قوّة لنا إلا من قوتك ولا قدرة لنا إلا من قدرتك ولا نصرٌ نرجوه إلا منك، قد انقطعت من أهل الأرض آمالنا فلم يبق لنا أمل إلا فيك وينسنا من الناس فانحصر رجاؤنا في رحمتك؛ اللهم اجْبُرْ كسرنا وانصُرْ جمعنا، وأبدلنا بالهم فرجاً وأخرجنا من البلاء إلى العافية.

[الزلزال السوري](#)

المصادر: